سورة المجادلة

١ـ **سميت هذه السورة** في كتب التفسير وفي المصاحف وكتب السنة (سورة المجادلة) بكسر الدال أو بفتحه كما سيأتي.

وتسمى (سورة قد سمع) وهذا الاسم مشتهر في الكتاتيب في تونس، وسميت في مصحف أُبيّ بن كعب (سورة الظهار).

ووجه تسميتها (سورة المجادلة) لأنها افتتحت بقضية مجادلة امرأة أوس ابن الصامت لدى النبيﷺ في شأن مظاهرة زوجها.

ولم يذكر المفسرون ولا شارحوا كتب السنة ضبطه بكسر الدال أو فتحها.

وذكر الخفاجي في حاشية البيضاوي عن الكشف أن كسر الدال هو المعروف ـولم أدر ما أراد الخفاجي بالكشف الذي عزا إليه هذاـ فكشف القزويني على الكشاف لا يوجد فيه ذلك، ولا في التفسير المسمى الكشفَ والبيان للثعلبي.

فلعل الخفاجي رأى ذلك في الكشف الذي ينقل عنه الطيبي في مواضع تقريرات لكلام الكشاف وهو غير معروف في عداد شروح الكشاف.

وكسر الدال أظهر؛ لأن السورة افتتحت بذكر التي تجادل في زوجها؛ فحقيقة أن تضاف إلى صاحبة الجدال، وهي التي ذكرها الله بقوله: ﴿ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾.

ورأيت في نسخة من حاشية محمد الهمذاني على الكشاف المسماة توضيح المشكلات، بخط مؤلفها جعل علامة كسرة تحت دال المجادلة.

وأما فتح الدال فهو مصدر مأخوذ من فعل: ﴿ تُجَادِلُكَ ﴾ كما عبر عنها

بالتحاور في قوله -تعالى-: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾.

وهذه السورة مدنية قال ابن عطية بالإجماع.

وفي تفسير القرطبي عن عطاء: أن العشر الأُوَلَ منها مدني وباقيها مكي.

وفيه عن الكلبي أنها مدنية إلا قوله -تعالى-: ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية نزلت بمكة.

وهي السورة المائة وثلاث في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة المنافقين وقبل سورة التحريم.

والذي يظهر أن سورة المجادلة نزلت قبل سورة الأحزاب؛ لأن الله -تعالى- قال في سورة الأحزاب: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ اللاَّئِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ وذلك يقتضي أن تكون هذه الآية نزلت بعد إبطال حكم الظهار بما في سورة المجادلة؛ لأن قوله: ﴿مَا جَعَلَ﴾ يقتضي إبطال التحريم بالمظاهرة، وإنما أبطل بآية سورة المجادلة.

وقال السخاوي: نزلت سورة المجادلة بعد سورة المنافقين وقبل سورة الحجرات.

وآيها في عد أهل المدينة وأهل مكة إحدى وعشرون، وفي عد أهل الشام والبصرة والكوفة اثنتان وعشرون. ٢٨/٥-٦

٢- **أغراض هاته السورة**: الحكمُ في قضيةِ مُظَاهَرَةِ أوسِ بنِ الصامتِ من زوجِهِ خولة.

وإبطالُ ما كان في الجاهلية من تحريم المرأةِ إذا ظاهر منها زوجُها، وأن عَمَلَهم مخالفٌ لما أراده الله، وأنه من أوهامهم وزورهم التي كبتهم الله بإبطالها، وتَخَلَّص من ذلك إلى ضلالات المنافقين ومنها مناجاتهم بمرأى المؤمنين؛

ليغيظوهم ويحزنوهم.

ومنها موالاتُهم اليهودَ، وحَلِفُهم على الكذب.

وتخلل ذلك التعرضُ لآداب مجلس الرسول ﷺ وشرعُ التصدق قبلَ مناجاةِ الرسول ﷺ والثناءُ على المؤمنين في مجافاتهم اليهودَ والمشركين، وأن الله ورسولَه وحزبَهما هم الغالبون. ٦/٢٨

٣ـ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ (١)﴾.

افتتحت آيات أحكام الظهار بذكر سبب نزولها؛ تنويهاً بالمرأة التي وجَّهت شكواها إلى الله ـتعالىـ بأنها لم تُقَصِّر في طلب العدل في حقها وفي بَنِيها.

ولم ترضَ بعُنجهية زوجها، وابتداره إلى ما ينثر عقد عائلته دون تبصّر ولا رويَّة، وتعليماً لنساء الأمة الإسلامية، ورجالها واجبَ الذودِ عن مصالحها.

تلك هي قضية المرأة خولة أو خُويلة مصغراً أو جميلة بنت مالك بن ثعلبة أو بنت دُلَيْج ـمصغراًـ العوفية.

وربما قالوا: الخزرجية، وهي من بني عوف بن مالك بن الخزرج من بطون الأنصار مع زوجها أوس بن الصامت الخزرجي أخي عبادة بن الصامت.

قيل: إن سبب حدوث هذه القضية أن زوجها رآها وهي تصلي وكانت حسنة الجسم، فلما سلمت أرادها، فأبت، فغضب، وكان قد ساء خلقه، فقال لها: أنتِ عليّ كظهر أمي.

قال ابن عباس: وكان هذا في الجاهلية تحريماً للمرأة مؤبَّداً ـأي وعمل به المسلمون في المدينة بعلم من النبي ﷺ وإقراره الناسَ عليه؛ فاستقر مشروعاًـ.

فجاءت خولة رسول الله ﷺ وذكرت له ذلك، فقال لها: حَرُمْتِ عليه، فقالت للرسول ﷺ: إن لي صبية صغاراً إن ضممتهم إليه ضاعوا وإن ضممتهم إلي جاعوا، فقال «**ما عندي في أمرك شيء، فقالت: يا رسول الله ما ذكر طلاقاً، وإنما هو أبو وَلَدِي وأحب الناس إلي، فقال: حَرُمتِ عليه، فقالت: أشكو إلى الله فاقتي ووجدي كلما قال رسول الله ﷺ حَرُمتِ عليه هتفت وشكت إلى الله**» فأنزل الله هذه الآيات.

وهذا الحديث رواه أبو داود في كتاب الظهار مجملاً بسند صحيح.

وأما تفصيل قصته فمن روايات أهل التفسير، وأسباب النزول يزيد بعضها على بعض، وقد استقصاها الطبري بأسانيده عن ابن عباس، وقتادة، وأبي العالية، ومحمد بن كعب القرظي، وكلها متفقة على أن المرأة المجادِلة هي خولة أو خويلة أو جميلة، وعلى أن زوجها أوس بن الصامت. ٢٨/٦ـ٧

٤ـ **والسماع في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾** مستعمل في معناه الحقيقي المناسب لصفات الله؛ إذ لا صارف يصرف عن الحقيقة.

وكون الله ـتعالى ـ عالماً بما جرى من المحاورة معلوم لا يراد من الإخبار به إفادة الحكم، فتعين صرف الخبر إلى إرادة الاعتناء بذلك التحاور، والتنويه به، وبعظيم منزلته لاشتماله على ترقّب النبي ﷺ ما ينزله عليه من وحي، وترقب المرأة الرحمة، وإلا فإن المسلمين يعلمون أن الله عالم بتحاورهما. ٩/٢٨

٥ـ **وجملة: ﴿اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾** تذييل لجملة: ﴿وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾ أي أن الله عالم بكل صوت وبكل مرئي. ٩/٢٨

٦ـ ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي

وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنْكَراً مِنَ الْقَوْلِ وَزُوراً وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ (٢) ﴾.

ومعناه أن يقول الرجل لزوجه: أنت علي كظهر أمي.

وكان هذا قولاً يقولونه في الجاهلية يريدون به تأبيدَ تحريم نكاحها وبتّ عصمته.

وهو مشتق من الظهر ضد البطن لأن الذي يقول لامرأته أنت علي كظهر أمي يريد بذلك أنه حرمها على نفسه كما أن أمه حرام عليه، فإسناد تركيب التشبيه إلى ضمير المرأة على تقدير حالة من حالاتها، وهي حالة الاستمتاع المعروف، سلكوا في هذا التحريم مسلك الاستعارة المكنية بتشبيه الزوجة حين يقربها زوجها بالراحلة، وإثبات الظهر لها تخيل للاستعارة، ثم تشبيه ظهر زوجته بظهر أمه، أي في حالة من أحواله، وهي حالة الاستمتاع المعروف، وجعل المشبه ذات الزوجة.

والمقصود أخص أحوال الزوجة، وهو حال قربانها؛ فآل إلى إضافة الأحكام إلى الأعيان.

فالتقدير: قربانك كقربان ظهر أمي، أي اعتلائها الخاص.

ففي هذه الصيغة حذفٌ، ومجيءُ حروفِ لفظِ ظهر في صيغة ظهار أو مظاهرة يشير إلى صيغة التحريم التي هي: (أنت علي كظهر أمي) إيماءٌ إلى تلك الصيغة على نحو ما يستعمل في النحت وليس هو من النحت؛ **لأن النحت يشتمل على حروف من عدة كلمات.**

قال المفسرون وأهل اللغة كان الظهار طلاقاً في الجاهلية يقتضي تأبيد التحريم.

وأحسب أنه كان طلاقاً عند أهل يثرب وما حولها؛ لكثرة مخالطتهم اليهود، ولا أحسب أنه كان معروفاً عند العرب في مكة وتهامة ونجد وغيرها، ولم أقف

على ذلك في كلامهم.

وحسبك أن لم يذكر في القرآن إلا في المدني هنا، وفي سورة الأحزاب.

والذي يَلُوح لي أن أهل يثرب ابتدعوا هذه الصيغة؛ للمبالغة في التحريم؛ فإنهم كانوا قبل الإسلام ممتزجين باليهود، متخلقين بعوائدهم، وكان اليهود يمنعون أن يأتي الرجل امرأته من جهة خلفها كما تقدم في قوله -تعالى-: ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ في سورة البقرة؛ فلذلك جاء في هذه الصيغة لفظ الظهر؛ فجمعوا في هذه الصيغة تغليظاً من التحريم وهي أنها كأمه، بل كظهر أمه؛ فجاءت صيغة شنيعة فضيعة. ٢٨/١٠-١١

٧- وأخذوا من صيغة: (أنت علي كظهر أمي) أصرحَ ألفاظِها، وأخصَّها بغرضها وهو لفظ ظهر؛ فاشتقوا منه الفعل بِزِناةٍ[1] متعددة، يقولون: ظاهر من امرأته، وظهّر مثل ضاعف وضعّف، ويدخلون عليهما تاء المطاوعة.

فيقولون: تظاهر منها وتظهَّر، وليس هذا من قبيل النحت نحو: بسمل، وهلّل؛ لعدم وجود حرف من الكلمات الموجودة في الجملة كلها. ٢٨/١١

٨- و﴿ أَلَمْ تَرَى ﴾ من الرؤية العلمية؛ لأن علم الله لا يرى، وسَدَّ المصدر مسدَّ المفعول.

والتقدير: ألم تر الله عالماً.

و﴿ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ﴾ يعم المبصرات والمسموعات فهو أعم من قوله: ﴿ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ لاختصاصه بعلم المشاهدات؛ لأن الغرض المفتتح به هذه الجملة هو علم المسموعات. ٢٨/٢٦

---

١ - يعني بأوزان. (م)

سورة الحشر

١ ـ **اشتهرت تسمية هذه السورة (سورة الحشر)** وبهذا الاسم دعاها النبي ﷺ .

روى الترمذي عن معقل بن يسار: «**قال رسول الله ﷺ: من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر**» الحديث، أي الآيات التي أولها: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ إلى آخر السورة.

وفي صحيح البخاري عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس سورة الحشر قال: «قل: بني النضير» أي سورة بني النضير؛ فابن جبير سماها باسمها المشهور، وابن عباس يسميها سورة بني النضير.

ولعله لم يبلغه تسمية النبي ﷺ إياها (سورة الحشر) لأن ظاهر كلامه أنه يرى تسميتها (سورة بني النضير) لقوله لابن جبير (قل: بني النضير).

وتأول ابن حجر كلام ابن عباس على أنه كره تسميتها بـ(الحشر) لئلا يظن أن المراد بالحشر يوم القيامة، وهذا تأول بعيد.

وأحسن من هذا أن ابن عباس أراد أن لها اسمين، وأن الأمر في قوله: (قل)، للتخيير.

فأما وجه تسميتها (الحشر) فلوقوع لفظ (الحَشْرِ) فيها.

ولكونها ذكر فيها حشر بني النضير من ديارهم أي من قريتهم المسماة الزهرة قريباً من المدينة؛ فخرجوا إلى بلاد الشام إلى أريحا وأذرعات، وبعض بيوتهم خرجوا إلى خيبر، وبعض بيوتهم خرجوا إلى الحيرة.

وأما وجه تسميتها (سورة بني النضير) فلأن قصة بني النضير ذكرت فيها.

وهي مدنية بالاتفاق.

وهي الثامنة والتسعون في عداد نزول السور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة البينة وقبل سورة النصر.

وكان نزولها عقب إخراج بني النضير من بلادهم سنة أربع من الهجرة.

وعدد آيها أربع وعشرون باتفاق العادين. ٢٨/٦٢ـ٦٣

٢ـ **أغراض هذه السورة**: وقع الاتفاق على أنها نزلت في شأن بني النضير، ولم يُعَيِّنوا ما هو الغرضُ الذي نزلت فيه، ويظهر أن المَقْصِدَ منها حكمُ أموالِ بني النضير بعد الانتصار عليهم ـكما سنبينه في تفسير الآية الأولى منهاـ.

وقد اشتملت على أن ما في السماوات وما في الأرض دالٌّ على تنزيه الله، وكونِ ما في السماوات والأرض مُلْكَهُ، وأنه الغالبُ المدبر.

وعلى ذكرِ نِعْمَةِ اللهِ على ما يَسَّرَ من إجلاء بني النضير مع ما كانوا عليه من المَنَعةِ والحصون والعدة، وتلك آيةٌ من آيات تأييدِ رسول اللهﷺ وغلبته على أعدائه.

وذكرُ ما أجراه المسلمون من إتلافِ أموالِ بني النَّضير، وأحكامُ ذلك في أموالهم، وتَعْيِيْن مستحقيه من المسلمين.

وتعظيمُ شأنِ المهاجرين والأنصارِ والذين يجيئُون بعدَهم من المؤمنين.

وكشفُ دخائلِ المنافقين ومواعيدِهم لبني النضير أن ينصروهم، وكيف كذبوا وعدهم، وأنحى على بني النضير والمنافقين بالجبن وتفرُّق الكلمةِ، وتنظير حال

تغرير المنافقين لليهود بتغرير الشيطان للذين يكفرون بالله، وتَنَصُّلِه من ذلك يوم القيامة؛ فكان عاقبةُ الجميعِ الخلودَ في النار.

ثم خطابُ المؤمنين بالأمر بالتقوى، والحذرِ من أحوال أصحابِ النار، والتذكيرُ بتفاوت حال الفريقين.

وبيانُ عظمةِ القرآن، وجلالتِه، واقتضائه خشوعَ أهلِه.

وتخلل ذلك إيماءٌ إلى حكمةِ شرائعِ انتقالِ الأموال بين المسلمين بالوجوه التي نظَّمها الإسلام بحيث لا تَشُقُّ على أصحاب الأموال.

والأمرُ باتباع ما يشرعه الله على لسان رسوله ﷺ.

وخُتِمَتْ بصفاتٍ عظيمة من الصفات الإلهية، وأنه يسبح له ما في السماوات والأرض؛ تزكيةً لحال المؤمنين، وتعريضاً بالكافرين. ٢٨/٦٣-٦٤

٣- والخطاب في قوله: ﴿يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ موجه إلى غير معين.

ونودي أولوا الأبصار بهذه الصلة؛ ليشير إلى أن العبرة بحال بني النضير واضحة مكشوفة لكل ذي بصر ممن شاهد ذلك، ولكل ذي بصر يرى مواقع ديارهم بعدهم؛ فتكون له عبرة قدرة الله -تعالى- على إخراجهم وتسليط المسلمين عليهم من غير قتال.

وفي انتصار الحق على الباطل، وانتصار أهل اليقين على المذبذبين.

وقد احتج بهذه الآية بعض علماء الأصول لإثبات حجية القياس بناء على أنه من الاعتبار. ٢٨/٧٢

٤- والمقصود من ذلك إبطال ما كان معتاداً في العرب قبل الإسلام من استئثار

قائد الجيش بأمور من المغانم وهي : المرباع ، والصفايا ، وما صالح عليه عدوه دون قتال ، والنشيطة والفضول.

قال عبدالله بنُ عَنَمةَ الضبي يخاطب بسطام بن قيس سيد بني شيبان وقائدهم في أيامهم :

لك المرباع منه والصفايا وحكمك والنشيطة والفضول

فالمرباع : ربع المغانم كان يستأثر به قائد الجيش.

والصفايا : النفيس من المغانم الذي لا نظير له فتعذر قسمته ، كان يستأثر به قائد الجيش.

وأما حكمه فهو ما أعطاه العدو من المال إذا نزلوا على حكم أمير الجيش.

والنشيطة : ما يصيبه الجيش في طريقه من مال عدوهم قبل أن يصلوا إلى موضع القتال.

والفضول : ما يبقى بعد قسمة المغانم مما لا يقبل القسمة على رؤوس الغزاة مثل بعير وفرس.

وقد أبطل الإسلام ذلك كله؛ فجعل الفيء مصروفاً إلى ستة مصارف راجعة فوائدها إلى عموم المسلمين؛ لسد حاجاتهم العامة والخاصة؛ فإن ما هو لله وللرسول ﷺ إنما يجعله الله لما يأمر به رسوله ﷺ وجعل الخمس من المغانم كذلك لتلك المصارف.

وقد بدا من هذا التعليل أن من مقاصد الشريعة أن يكون المال دولة بين الأمة الإسلامية على نظام محكم في انتقاله من كل مال لم يسبق عليه ملك لأحد مثل الموات ، والفيء ، واللقطات ، والركاز ، أو كان جزءاً معيناً مثل : الزكاة ،

والكفارات، وتخميس المغانم، والخراج، والمواريث، وعقود المعاملات التي بين جانبي مال وعمل مثل: القراض، والمغارسة، والمساقاة، وفي الأموال التي يظفر بها الظافر بدون عمل وسعي مثل: الفيء والركاز، وما ألقاه البحر، وقد بينت ذلك في الكتاب الذي سميته (مقاصد الشريعة الإسلامية).

والدولة بضم الدال: ما يتداوله المتداولون.

والتداول: التعاقب في التصرف في شيء، وخصها الاستعمال بتداول الأموال.

والدولة بفتح الدال: النوبة في الغلبة والملك؛ ولذلك أجمع القراء المشهورون على قراءتها في هذه الآية بضم الدال. ٢٨/٨٤ـ٨٦

٥ـ وفي الحديث في بيان أفضل الصدقة: «**أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل الغنى**».

ولكن النفوس تتفاوت في هذا المقدار فإذا غلب عليها بمنع المعروف والخير فذلك مذموم، ويتفاوت ذمه بتفاوت ما يمنعه.

قال وقد أحسن وصفه من قال، لم أقف على قايله:

يمارس نفساً بين جنبيه كزة ... إذا همّ بالمعروف قالت له مهلا

فمن وقي شح نفسه، أي وقي من أن يكون الشح المذموم خلقاً له، لأنه إذا وقي هذا الخلق سلم من كل مواقع ذمه؛ فإن وقي من بعضه كان له من الفلاح بمقدار ما وقيه. ٢٨/٩٤ـ٩٥

٦ـ ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ (١٤)﴾.

استئناف بياني؛ لأن الإخبار عن أهل الكتاب وأنصارهم بأنهم لا يقاتلون

المسلمين إلا في قرى محصنة المفيد أنهم لا يتفقون على جيش واحد متساندين فيه مما يثير في نفس السامع أن يسأل عن موجب ذلك مع أنهم متفقون على عداوة المسلمين.

فيجاب بأن بينهم بأساً شديداً وتدابراً؛ فهم لا يتفقون.

وافتتحت الجملة بـ﴿بَأْسُهُمْ﴾ للاهتمام بالأخبار عنه بأنه بينهم، أي متسلط من بعضهم على بعض وليس بأسهم على المسلمين، وفي تهكم.

ومعنى بينهم: أن مجال البأس في محيطهم؛ فما في بأسهم من إضرار فهو منعكس إليهم، وهذا التركيب نظير قوله ـ تعالى ـ: ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾.

وجملة: ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً﴾ إلى آخرها استئناف عن جملة: ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ لأنه قد يسأل السائل: كيف ذلك ونحن نراهم متفقين؟ فأجيب بأن ظاهر حالهم حال اجتماع واتحاد، وهم في بواطنهم مختلفون؛ فآراؤهم غير متفقة لا إلفة بينهم؛ لأن بينهم إحناً وعداوات؛ فلا يتعاضدون.

والخطاب لغير مُعَيَّن؛ لأن النبي ﷺ لا يحسب ذلك، وهذا تشجيع للمسلمين على قتالهم، والاستخفاف بجماعتهم.

وفي الآية تربية للمسلمين؛ ليحذروا من التخالف والتدابر، ويعلموا أن الأمة لا تكون ذات بأس على أعدائها إلا إذا كانت متفقة الضمائر يرون رأياً متماثلاً في أصول مصالحهما المشتركة، وإن اختلفت في خصوصياتها التي لا تنقض أصول مصالحها، ولا تفرق جامعتها، وأنه لا يكفي في الاتحاد توافق الأقوال ولا التوافق على الأغراض إلا أن تكون الضمائر خالصة من الإحن والعداوات.

٢٨/١٠٥ـ١٠٦

سورة الممتحنة

١ ـ **عرفت هذه السورة** في كتب التفسير وكتب السنة وفي المصاحف بـ(سورة الممتحنة).

قال القرطبي: والمشهور على الألسنة النطق في كلمة (الممتحنة) بكسر الحاء وهو الذي جزم به السهيلي.

ووجه التسمية أنها جاءت فيها آية امتحان إيمان النساء اللاتي يأتين من مكة مهاجرات إلى المدينة وهي آية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ إلى قوله: ﴿بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ﴾.

فوصف الناس تلك الآية بالممتحنة؛ لأنها شرعت الامتحان، وأضيفت السورة إلى تلك الآية.

وقال السهيلي: أسند الامتحان إلى السورة مجازاً كما قيل لسورة براءة الفاضحة، يعني أن ذلك الوصف مجاز عقلي.

وروي بفتح الحاء على اسم المفعول.

قال ابن حجر: وهو المشهور أي المرأة الممتحنة على أن التعريف تعريف العهد والمعهود أول امرأة امتحنت في إيمانها، وهي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط امرأة عبد الرحمن بن عوف.

كما سميت سورة قد سمع الله (سورة المجادلة) بكسر الدال.

ولك أن تجعل التعريف تعريف الجنس، أي النساء الممتحنة.

قال في الإتقان: وتسمى (سورة الامتحان) و(سورة المودة) وعزا ذلك إلى كتاب جمال القراء لعلي السخاوي، ولم يذكر سنده.

وهذه **السورة مدنية** بالاتفاق.

واتفق أهل العدد على عد آيها ثلاث عشرة آية، وآياتها طوال.

واتفقوا على أن الآية الأولى نزلت في شأن كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى المشركين من أهل مكة.

روى البخاري من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار يبلغ به إلى علي ابن أبي طالب رضي الله عنه قصة كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة ثم قال: قال عمرو بن دينار: نزلت فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.

قال سفيان: «هذا في حديث الناس لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو، حفظته من عمرو وما تركت منه حرفاً». اهـ

وفي صحيح مسلم وليس في حديث أبي بكر، وزهير (من الخمسة الذين روى عنهم مسلم يروون عن سفيان بن عيينة) ذكر الآية.

وجعلها إسحاق -أي ابن إبراهيم- أحد من روى عنهم مسلم هذا الحديث في روايته من تلاوة سفيان. اهـ

ولم يتعرض مسلم لرواية عمرو الناقد وابن أبي عمر عن سفيان، فلعلهما لم يذكرا شيئاً في ذلك.

واختلفوا في أن كتابه إليهم أكان عند تجهز رسول الله ﷺ للحديبية وهو قول قتادة، ودرج عليه ابن عطية، وهو مقتضى رواية الحارث عن علي بن أبي طالب عند الطبري قال: لما أراد النبي ﷺ أن يأتي مكة أفشى في الناس أنه يريد خيبر وأسر إلى ناس من أصحابه منهم حاطب بن أبي بلتعة أنه يريد مكة؛ فكتب حاطب إلى أهل مكة... إلى آخره.

فإن قوله: أفشى، أنه يريد خيبر يدل على أن إرادته مكة إنما هي إرادة عمر[1] الحديبية لا غزو مكة؛ لأن خيبر فتحت قبل فتح مكة.

ويؤيد هذا ما رواه الطبري أن المرأة التي أرسل معها حاطب كتابه كان مجيئها المدينة بعد غزوة بدر بسنتين: وقال ابن عطية: نزلت هذه السورة سنة ست.

وقال جماعة: كان كتاب حاطب إلى أهل مكة عند تجهز رسول الله ﷺ لفتح مكة، وهو ظاهر صنيع جمهور أهل السير، وصنيع البخاري في كتاب المغازي من صحيحه في ترتيبه للغزوات، ودرج عليه معظم المفسرين.

ومعظم الروايات ليس فيها تعيين ما قصده رسول الله ﷺ من تجهزه إلى مكة أهو لأجل العمرة، أم لأجل الفتح، فإن كان الأصح الأول وهو الذي نختاره كانت السورة جميعها نازلة في مدة متقاربة، فإن امتحان أم كلثوم بنت عقبة كان عقب صلح الحديبية.

ويكون نزول السورة مرتباً على ترتيب آياتها وهو الأصل في السور.

وعلى القول الثاني يكون صدور السورة نازلاً بعد آيات الامتحان وما بعدها حتى قال بعضهم: إن أول السورة نزل بمكة بعد الفتح، وهذا قول غريب لا ينبغي التعويل عليه.

وهذه السورة قد عدت الثانية والتسعين في تعداد نزول السور.

عند جابر بن زيد نزلت بعد سورة العقود وقبل سورة النساء. ٢٨/١٢٩-١٣١

٢- **أغراض هذه السورة**: اشتملت من الأغراض على تحذيرِ المؤمنين من اتخاذ المشركين أولياءَ مع أنهم كفروا بالدين الحق، وأخروجهم من بلادهم.

وإعلامِهم بأن اتخاذهم أولياءَ ضلالٌ، وأنهم لو تمكنوا من المؤمنين لأساؤوا إليهم بالفعل والقول، وأن ما بينهم وبين المشركين من أواصر القرابة لا يُعْتَدُّ به

١- هكذا في الأصل، ولعل الصواب: عمرة. (م)

تُجاهَ العداوة في الدين، وضربَ لهم مثلاً في ذلك قطيعةَ إبراهيمَ لأبيه وقومِه.

وأردف ذلك باستئناسِ المؤمنين برجاءِ أن تَحْصُلَ مودةٌ بينهم وبين الذين أمرهم اللهُ بمعاداتهم أي هذه معاداة غير دائمة.

وأردف بالرخصة في حسن معاملة الكفرة الذين لم يقاتلوا المسلمين قتالَ عداوةٍ في دين، ولا أخرجوهم من ديارهم.

وهذه الأحكامُ إلى نهاية الآيةِ التاسعة.

وحكمُ المؤمناتِ اللاءِ يأتين مهاجراتٍ، واختبارُ صدقِ إيمانهن، وأن يُحْفظن من الرجوع إلى دار الشرك، ويُعَوَّضُ أزواجُهن المشركون ما أعطوهن من المهور، ويقع الترادُّ كذلك مع المشركين.

ومبايعةُ المؤمنات المهاجرات؛ لِيُعْرَفَ التزامُهن لأحكام الشريعة الإسلامية، وهي الآية الثانية عشرة.

وتحريمُ تزوُّجِ المسلمين المشركاتِ وهذا في الآيتين العاشرة والحادية عشرة.

والنهي عن موالاة اليهود وأنهم أشبهوا المشركين وهي الآية الثالثة عشرة. ١٣٢-١٣١/٢٨

٣- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي﴾.

والمعنى: لا يقع منكم اتخاذُ عدوي وعدوكم أولياء، ومودتُهم، مع أنهم كفروا بما جاءكم من الحق، وأخرجوكم لأجل إيمانكم.

إن كنتم خرجتم من بلادكم جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي، فكيف توالون من أخرجوكم وكان إخراجهم إياكم لأجلي وأنا ربكم؟! ١٣٧/٢٨

سورة الصف

١ـ **اشتهرت هذه السورة باسم (سورة الصف)** وكذلك سميت في عصر الصحابة.

روى ابن أبي حاتم سنده إلى عبدالله بن سلام أن ناساً قالوا: «لو أرسلنا إلى رسول الله نسأله عن أحب الأعمال» إلى أن قال: «**فدعا رسول الله ﷺ أولئك النفر حتى جمعهم ونزلت فيهم سورة سبح لله الصف**» الحديث، رواه ابن كثير.

وبذلك عنونت في صحيح البخاري وفي جامع الترمذي، وكذلك كتب اسمها في المصاحف وفي كتب التفسير.

ووجه التسمية وقوع لفظ: ﴿صَفّاً﴾ فيها وهو صف القتال، فالتعريف باللام تعريف العهد.

وذكر السيوطي في الإتقان: أنها تسمى (سورة الحواريين) ولم يسنده.

وقال الآلوسي: تسمى (سورة عيسى) ولم أقف على نسبته لقائل.

وأصله للطبرسي فلعله أخذ من حديث رواه في فضلها عن أبي بن كعب بلفظ (سورة عيسى).

وهو حديث موسوم بأنه موضوع.

والطبرسي يكثر من تخريج الأحاديث الموضوعة.

فتسميتها (سورة الحواريين) لذكر الحواريين فيها، ولعلها أول سورة نزلت ذكر فيها لفظ الحواريين.

وإذا ثبت تسميتها (سورة عيسى) فلما فيها من ذكر (عيسى) مرتين.

وهي مدنية عند الجمهور كما يشهد لذلك حديث عبدالله بن سلام.

وعن ابن عباس ومجاهد وعطاء أنها مكية ودرج عليه في الكشاف والفخر.

وقال ابن عطية: الأصح أنها مدنية ويشبه أن يكون فيها المكي.

واختلف في سبب نزولها وهل نزلت متتابعة أو متفرقة متلاحقة.

١٧٢-١٧١/٢٨

٢- **وهي السورة الثامنة والمائة في ترتيب نزول السور** عند جابر بن زيد. نزلت بعد سورة التغابن وقبل سورة الفتح، وكان نزولها بعد وقعة أحد.

وعدد آيها أربع عشرة آية باتفاق أهل العدد. ١٧٣/٢٨

٣- **أغراضها:** أولُ أغراضِها التحذيرُ من إخلافِ الوعدِ والالتزام بواجبات الدين.

والتحريضُ على الجهاد في سبيل الله والثباتُ فيه، وصدقُ الإيمانِ، والثباتُ في نصرة الدين، والائتساءُ بالصادقين مثل الحواريين.

والتحذيرُ من أذى الرسولﷺ تعريضاً باليهود مثل كعب بن الأشرف.

وَضْربُ المثل لذلك بفعل اليهود مع موسى وعيسى - عليهما السلام -.

والتعريضُ بالمنافقين.

والوعدُ على إخلاص الإيمانِ والجهادِ بحسن مثوبة الآخرة والنصر والفتح.

١٧٣/٢٨

٤- ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (٨)﴾.

استئناف بياني ناشئ عن الإخبار عنهم بأنهم افتروا على الله الكذب في حال

أنهم يدعون إلى الإسلام؛ لأنه يثير سؤال سائل عما دعاهم إلى هذا الافتراء؛ فأجيب بأنهم يريدون أن يخفوا الإسلام عن الناس، ويعوقوا انتشاره، ومثلت حالتهم بحالة نفر يبتغون الظلام للتلصص أو غيره مما يراد فيه الاختفاء.

فلاحت له ذبالة مصباح تضيء للناس، فكرهوا ذلك وخشوا أن يشع نوره على الناس فتفتضح ترهاتهم، فعمدوا إلى إطفائه بالنفخ عليه فلم ينطفىء، فالكلام تمثيل دال على حالة الممثل لهم.

والتقدير: يريدون عوق ظهور الإسلام كمثل قوم يريدون إطفاء النور، فهذا تشبيه الهيئة بالهيئة تشبيه المعقول بالمحسوس. ٢٨/١٨٩ـ١٩٠

٥ـ وإنما كانت كراهية الكافرين ظهور نور الله حالة يظن انتفاء تمام النور معها، لأن تلك الكراهية تبعثهم على أن يتألبوا على إحداث العراقيل وتضليل المتصدين للاهتداء، وصرفهم عنه بوجود المكر، والخديعة، والكيد، والإضرار.

وشمل لفظ: ﴿الْكَافِرُونَ﴾ جميع الكافرين بالإسلام من المشركين وأهل الكتاب وغيرهم.

ولكن غلب اصطلاح القرآن على تخصيص وصف الكافرين بأهل الكتاب ومقابلتهم بالمشركين أو الظالمين. ٢٨/١٩١

سورة الجمعة

١ـ **سميت هذه السورة** عند الصحابة وفي كتب السنة والتفاسير (سورة الجمعة) ولا يعرف لها اسم غير ذلك.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: «**كنا جلوساً عند النبي فأنزلت عليه سورة الجمعة**» الحديث.

وسيأتي عند تفسير قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾.

ووجه تسميتها وقوع لفظ: ﴿الْجُمُعَةِ﴾ فيها، وهو اسم لليوم السابع من أيام الأسبوع في الإسلام.

وقال ثعلب: إن قريشاً كانت تجتمع فيه عند قُصيّ بدار الندوة، ولا يقتضي في ذلك أنهم سموا ذلك اليوم الجمعة.

ولم أرَ في كلام العرب قبل الإسلام ما يثبت أن اسم الجمعة أطلقوه على هذا اليوم.

وقد أطلق اسم (الجمعة) على الصلاة المشروعة فيه على حذف المضاف لكثرة الاستعمال.

وفي حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا جاء أحدكم الجمعة فليغتسل**».

ووقع في كلام عائشة: «**كان الناس ينتابون الجمعة من منازلهم والعوالي**» الخ.

وفي كلام أنس: «كنا نقيل بعد الجمعة».

ومن كلام ابن عمر: «كان رسول الله لا يصلي بعد الجمعة حتى ينصرف» أي

من المسجد.

ومن كلام سهل بن سعد: «ما كنا نقيل ولا نتغدى إلا بعد الجمعة».

فيحتمل أن يكون لفظ الجمعة الذي في اسم هذه السورة معنياً به صلاة الجمعة؛ لأن في هذه السورة أحكاماً لصلاة الجمعة.

ويحتمل أن يراد به يوم الجمعة؛ لوقوع لفظ يوم الجمعة في السورة في آية صلاة الجمعة.

وهي مدنية بالاتفاق.

ويظهر أنها نزلت سنة ست وهي سنة خيبر، فظاهر حديث أبي هريرة الذي أشرنا إليه آنفاً أن هذه السورة نزلت بعد فتح خيبر؛ لأن أبا هريرة أسلم يوم خيبر.

وظاهره أنها نزلت دفعة واحدة؛ فتكون قضية ورود العير من الشام هي سبب نزول السورة -وسيأتي ذكر ذلك-.

وكان فرض صلاة الجمعة متقدماً على وقت نزول السورة؛ فإن النبيﷺ فرضها في خطبة خطب بها للناس، وصلاها في أول يوم جمعة بعد يوم الهجرة في دارٍ لبني سالم بن عوف.

وثبت أن أهل المدينة صلوها قبل قدوم رسول اللهﷺ المدينة -كما سيأتي-.

فكان فرضها ثابتاً بالسنة قولاً وفعلاً.

وما ذكر في هذه السورة من قوله: ﴿ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ورد مورد التأكيد لحضور صلاة الجمعة وترك البيع، والتحذير من الانصراف عند الصلاة قبل تمامها -كما سيأتي-.

وقد عدت هذه السورة السادسة بعد المائة في ترتيب نزول السور عند جابر ابن

زيد، نزلت بعد سورة التحريم وقبل سورة التغابن.

وظاهر حديث أبي هريرة يقتضي أن هذه السورة أنزلت دفعة واحدة غير منجمة.

وعدت آيها إحدى عشرة آية باتفاق العادين من قراء الأمصار. ٢٠٤/٢٨ـ٢٠٥

٢ـ **أغراضُها:** أولُ أغراضِها ما نزلت لأجله وهو التحذيرُ من التخلفِ عن صلاة الجمعة، والأمرُ بتركِ ما يشغلُ عنها في وقت أدائها.

وقُدِّم لذلك: التنويهُ بجلال الله ـتعالىـ والتنويهُ بالرسولﷺ وأنه رسول إلى العرب ومن سيلحق بهم، وأن رسالته لهم فضلٌ من الله.

وفي هذا توطئةٌ لذمِّ اليهود؛ لأنهم حسدوا المسلمين على تشريفهم بهذا الدين.

ومن جملة ما حسدوهم عليه ونقموه أن جُعِل يومُ الجمعة اليومَ الفاضل في الأسبوع بعد أن كان يوم السبت، وهو المعروف في تلك البلاد.

وإبطالُ زعمهم أنهم أولياء الله.

وتوبيخُ قومٍ انصرفوا عنها؛ لمجيء عِيْرِ تجارةٍ من الشام. ٢٠٥/٢٨ـ٢٠٦

٣ـ **والمراد بـ﴿ الْأُمِّيِّينَ ﴾** : العرب؛ لأن وصف الأمية غالب على الأمة العربية يومئذ.

ووصف الرسول بـ﴿ مِنْهُمْ ﴾ أي لم يكن غريباً عنهم كما بُعِث لوطاً إلى أهل سلوم، ولا كما بُعِث يونس إلى أهل نينوى، وبُعِثَ إلياس إلى أهل صيدا من الكنعانيين الذين يعبدون بَعْل؛ فـ(مِنْ) تبعيضية، أي رسولاً من العرب.

وهذه منة موجهة للعرب؛ ليشكروا نعمة الله على لطفه بهم؛ فإنَّ كون رسولِ القوم منهم نعمةٌ زائدةٌ على نعمة الإرشاد والهدي، وهذا استجابة لدعوة

إبراهيم إذ قال: ﴿ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْهُمْ ﴾.

فتذكيرهم بهذه النعمة استنزال لطائر نفوسهم وعنادهم.

وفيه تورك عليهم إذ أعرضوا عن سماع القرآن؛ فإن كون الرسول منهم وكتابه بلغتهم هو أعون على تلقي الإرشاد منه؛ إذ ينطلق[1] بلسانهم، وبحملهم[2] على ما يصلح أخلاقهم؛ ليكونوا حملة هذا الدين إلى غيرهم.

والأميين: صفة لموصوف محذوف دلَّ عليه صيغة جمع العقلاء، أي في الناس الأميين.

وصيغة جمع المذكور في كلام الشارع تشمل النساء بطريقة التغليب الاصطلاحي، أي في الأميين والأميات؛ فإن أدلة الشريعة قائمة على أنها تعم الرجال والنساء إلا في أحكام معلومة.

والأميون: الذين لا يقرؤون الكتابة ولا يكتبون، وهو جمع أمي نسبة إلى الأمة، يعنون بها أمة العرب؛ لأنهم لا يكتبون إلا نادراً؛ فغلبت هذا التشبيه في الإطلاق عند العرب حتى صارت تطلق على من لا يكتب ولو من غيرهم قال -تعالى- في ذكر بني إسرائيل: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ ﴾ وقد تقدم في سورة البقرة.

وأوثر التعبير به هنا توركاً على اليهود؛ لأنهم كانوا يقصدون به الغض من العرب ومن النبي ﷺ جهلاً منهم؛ فيقولون: هو رسول الأميين وليس رسولاً إلينا.

---

١ ـ هكذا في الأصل، ولعل الصواب: ينطق، وربما أراد انطلاق الألسنة كما في قوله -تعالى-: ﴿ وَانْطَلَقَ الْمَلأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا ﴾ فيكون ما أُثبت هو الصواب. (م)

٢ ـ هكذا في الأصل، ولعل الصواب: ويحملهم. (م)

وقد قال ابن صياد للنبي ﷺ لما قال له: «**أتشهد أني رسول الله**»: أشهد أنك رسول الأميين.

وكان ابن صياد متديناً باليهودية؛ لأن أهله كانوا حلفاء لليهود.

وكان اليهود ينتقصون المسلمين بأنهم أميون قال -تعالى-: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ فتحدى الله اليهود بأنه بعث رسولاً إلى الأميين وبأن الرسول أمي، وأعلمهم أن ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء -كما في آخر الآية- وأن فضل الله ليس خاصاً باليهود، ولا بغيرهم وقد قال -تعالى- من قَبْلُ لموسى: ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾.

ووصف الرسول بأنه منهم، أي من الأميين شامل لمماثلته لهم في الأمية، وفي القومية.

وهذا من إيجاز القرآن البديع. ٢٨/٢٠٨-٢٠٩

٤- **وفي وصف الأمي بالتلاوة** وتعليم الكتاب والحكمة وتزكية النفوس **ضرب من محسن الطباق**؛ لأن المتعارف أن هذه مضادة للأمية.

وابتدئ بالتلاوة لأن أول تبليغ الدعوة بإبلاغ الوحي، وثني بالتزكية لأن ابتداء الدعوة بالتطهير من الرجس المعنوي وهو الشرك، وما يعلق به من مساوي الأعمال والطباع. ٢٨/٢٠٩

٥- **وموضع جملة: ﴿ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾** موضع الحال، وينشأ عن هذا المعنى إيماء إلى أن الأمم التي تدخل في الإسلام بعد المسلمين الأولين يصيرون مثلهم، وينشأ منه -أيضاً- رمز إلى أنهم يتعربون لفهم الدين والنطق بالقرآن فكم من

معان جليلة حوتها هذه الآية سكت عنها أهل التفسير.

وهذه بشارة غيبية بأن دعوة النبي ﷺ ستبلغ أمماً ليسوا من العرب وهم فارس، والأرمن، والأكراد، والبربر، والسودان، والروم، والترك، والتتار، والمغول، والصين، والهنود، وغيرهم.

وهذا من معجزات القرآن من صنف الإخبار بالمغيبات.

وفي الآية دلالة على عموم رسالة النبي ﷺ لجميع الأمم. ٢١٢/٢٨

٦ـ **وصلاة الجمعة هي صلاة ظهر يوم الجمعة**، وليست صلاة زائدة على الصلوات الخمس؛ فأسقط من صلاة الظهر ركعتان لأجل الخطبتين.

روي عن عمر بن الخطاب أنه قال: «وإنما قصرت الجمعة لأجل الخطبة»[(١)].

وأحسب أن ذلك تخفيف على الناس إذ وجبت عليهم خطبتان مع الصلاة؛ فكانت كل خطبة بمنزلة ركعة، وهذا سبب الجلوس بين الخطبتين للإيماء إلى أنهما قائمتان مقام الركعتين ولذلك كان الجلوس خفيفاً.

غير أن الخطبتين لم تعطيا أحكام الركعتين؛ فلا يضر فوات إحداهما أو فواتهما معاً، ولا يجب على المسبوق تعويضهما، ولا سجود لنقصهما عند جمهور فقهاء الأمصار، روي عن عطاء ومجاهد وطاووس: أن من فاتته الخطبة يوم الجمعة صلى أربعاً صلاة الظهر.

وعن عطاء: أن من أدرك ركعة من صلاة الجمعة أضاف إليها ثلاث ركعات وهو أراد أن فاتته الخطبة وركعة من صلاة الجمعة[(٢)].

١ـ رواه أبو بكر الرازي الجصاص في أحكام القرآن له جزء ٣ ص ٥٤٨.

٢ـ ذكره الجصاص ص٥٤٨ ج٣ من أحكام القرآن للجصاص.

وجعلت القراءة في الصلاة جهراً مع أن شأن صلوات النهار إسرار القراءة لفائدة إسماع الناس سوراً من القرآن كما أسمعوا الخطبة؛ فكانت صلاة إرشاد لأهل البلد في يوم من كل أسبوع.

والإجماع على أن صلاة الجمعة قائمة مقام صلاة الظهر في يوم الجمعة فمن صلاها لا يصلي معها ظهراً فأما من لم يصلها لعذر أو لغيره فيجب عليه أن يصلي الظهر.

ورأيت في الجامع الأموي في دمشق قام إمام يصلي بجماعة ظهراً بعد الفراغ من صلاة الجمعة ، وذلك بدعة. ٢٨/٢٢٢_٢٢٣

سورة المنافقون

١ ـ **سميت هذه السورة** في كتب السنة وكتب التفسير (سورة المنافقين) اعتباراً بذكر أحوالهم وصفاتهم فيها.

ووقع هذا الاسم في حديث زيد بن أرقم عند الترمذي قوله: «فلما أصبحنا قرأ رسول الله ﷺ سورة المنافقين» وسيأتي قريباً.

وروى الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة؛ فيحرض بها المؤمنين، وفي الثانية بسورة المنافقين؛ فيقرع بها المنافقين.

ووقع في صحيح البخاري وبعض كتب التفسير تسميتها (سورة المنافقون) على حكاية اللفظ الواقع في أولها، وكذلك ثبت في كثير من المصاحف المغربية، والمشرقية.

وهي مدنية بالاتفاق.

واتفق العادون على عد آيها إحدى عشرة آية.

وقد عدت الثانية بعد المائة في عداد نزول السور عند جابر بن زيد، نزلت بعد سورة الحج وقبل سورة المجادلة.

والصحيح أنها نزلت في غزوة بني المصطلق ووقع في جامع الترمذي عن محمد ابن كعب القرظي أنها نزلت في غزوة تبوك.

ووقع فيه ـأيضاًـ عن سفيان: أن ذلك في غزوةِ بني المصطَلِق، وغزوةُ بني المصطلق سنة خمس، وغزوة تبوك سنة تسع.

ورجح أهل المغازي وابن العربي في العارضة وابن كثير: أنها نزلت في غزوة بني المصطلق وهو الأظهر؛ لأن قول عبدالله بن أبي بن سلول: «ليخرجن الأعز منها الأذل» يناسب الوقت الذي لم يضعف فيه شأن المنافقين وكان أمرهم كل يوم في ضعف وكانت غزوة تبوك في آخر سني النبوءة وقد ضعف أمر المنافقين.

وسبب نزولها ما روي عن زيد بن أرقم أنه قال: كنا في غزاة فكسع[1] رجل من المهاجرين رجلاً جهنياً حليفاً للأنصار فقال الجهني: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين: فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟».

قالوا: كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: «**دعوها فإنها منتنة**» ـأي اتركوا دعوة الجاهلية: يآل كذاـ فسمع هذا الخبر عبدالله بن أُبي فقال: أقد فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل».

وقال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، قال زيد ابن أرقم: فسمعت ذلك، فأخبرت به عمي، فذكره للنبيﷺ فدعاني، فحدثته، فأرسل رسول الله إلى عبدالله بن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله، وصدقه، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله، فقال عمي ما أردت إلا أن كذَّبك رسول الله، وفي رواية: إلى أن كذبك، فلما أصبحنا قرأ رسول الله سورة المنافقين وقال لي: «**إن الله قد صدقك**».

وفي رواية للترمذي في هذا الحديث: «أن المهاجريَّ أعرابُي، وأن الأنصاري من أصحاب عبدالله بن أبي، وأن المهاجري ضرب الأنصاري على رأسه بخشبة

١ـ كسع: ضربه على دبره، وكان ذلك لخصومة في حوض ماء شربت منه ناقة الأنصاري.

فشجه، وأن عبدالله بن أبي قال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله» يعني الأعراب.

وذكر أهل السير أن المهاجري من غفار اسمه جهجاه أجير لعمر بن الخطاب، وأن الأنصاري جهني اسمه سنان حليف لابن أبيٍّ، ثم يحتمل أن تكون الحادثة واحدة.

واضطرب الراوي عن زيد بن أرقم في صفتها؛ ويجوز أن يكون قد حصل حادثتان في غزاة واحدة.

وذكر الواحدي في أسباب النزول: أن رسول الله ﷺ أرسل إلى عبدالله ابن أُبي وقال له: «أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني».

فقال عبدالله بن أبي: والذي أنزل عليك الكتاب ما قلت شيئاً من هذا، وإن زيداً لكاذب.

والظاهر أن المقالة الأولى قالها ابن أبيّ في سورة غضبٍ؛ تهييجاً لقومه، ثم خشي انكشاف نفاقه؛ فأنكرها.

وأما المقالة الثانية فإنما أدرجها زيد بن أرقم في حديثه، وإنما قالها ابن أبيّ في سورة الناصح ـكما سيأتي في تفسير حكايتهاـ.

وعلى الأصح فهي قد نزلت قبل سورة الأحزاب، وعلى القول بأنها نزلت في غزوة تبوك تكون نزلت مع سورة براءة، أو قبلها بقليل وهو بعيد. ٢٨/٢٣١ـ٢٣٣

٢ـ **أغراضُها**: فضحُ أحوالِ المنافقين بعد كثير من دخائلهم وتولُّد بعضها عن بعض من كذب، وخَيْسٍ بِعَهْدِ الله، واضطرابٍ في العقيدة، ومن سفالةِ نفوسٍ في أجسام تَغُرُّ وتعجب، ومن تصميمٍ على الإعراض عن طلب الحق والهدى،

وعلى صدِّ الناس عنه.

وكان كل قسم من آيات السورة المفتتح بـ(إذا) خص بغرض من هذه الأغراض؛ وقد علمت أن ذلك جرت إليه الإشارة إلى تكذيب عبد الله بن أُبي ابن سلول فيما حلف عليه من التنصل مما قاله.

وخُتِمَت بموعظة المؤمنين وحثِّهم على الإنفاق والادخار للآخرة قبل حلول الأجل. ٢٨/٢٣٣

٣ـ ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ هذه الجملة بمنزلة بدل البعض من مضمون جملة: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ﴾ أي من مخالفة باطنِهمُ المشوهِ للظاهر المموه، أي هم أهل جبن في صورة شجعان.

وهذا من جملة ما فضحته هذه السورة من دخائلهم ومطاوي نفوسهم كما تقدم في الآيات السابقة، وإن اختلفت مواقعها من تفنن أساليب النظم؛ فهي مشتركة في التنبيه على أسرارهم.

والصيحة: المرة من الصياح، أي هم؛ لسوء ما يضمرونه للمسلمين من العداوة لا يزالون يتوجسون خيفة من أن ينكشف أمرهم عند المسلمين؛ فهم في خوف وهلع إذا سمعوا صيحة في خصومة، أو أنشدت ضالة خشوا أن يكون ذلك غارة من المسلمين عليهم؛ للإيقاع بهم. ٢٨/٢٤٠ـ٢٤١

سورة التغابن

١ـ **سميت هذه السورة (سورة التغابن)** ولا تعرف بغير هذا الاسم، ولم ترد تسميتها بذلك في خبر مأثور عن رسول الله ﷺ سوى ما ذكره ابن عطية عن الثعلبي عن ابن عمر من أن النبي ﷺ قال: «**ما من مولود إلا وفي تشابيك مكتوب خمس آيات فاتحة سورة التغابن**».

والظاهر أن منتهى هذه الآيات قوله ـتعالىـ: ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ فتأمله، ورواه القرطبي عن ابن عمر ولم ينسبه إلى التعليق، فلعله أخذه من تفسير ابن عطية.

ووجه التسمية وقوع لفظ: ﴿التَّغَابُنِ﴾ فيها، ولم يقع في غيرها من القرآن.

وهي مدنية في قول الجمهور وعن الضحاك هي مكية.

وروى الترمذي عن عكرمة عن ابن عباس: «أن تلك الآيات نزلت في رجال أسلموا من أهل مكة، وأرادوا الهجرة، فأبى أزواجهم وأولادهم أن يدعوهم يأتون رسول الله ﷺ» الحديث.

وقال مجاهد: نزلت في شأن عوف الأشجعي ـكما سيأتيـ.

وهي معدودة السابعة والمائة في ترتيب نزول السور، نزلت بعد سورة الجمعة وقبل سورة الصف بناء على أنها مدنية.

وعدد آيها ثمان عشرة. ٢٨/٢٥٨

٢ـ **أغراضُها**: واشتملت هذه السورةُ على التذكير بأن من في السماء ومن في الأرض يسبحون لله، أي ينزهونه عن النقائص تسبيحاً متجدداً.

وأن الملكَ لله وحده؛ فهو الحقيقُ بإفراده بالحمد؛ لأنه خالق الناس كلِّهم، فآمن بوحدانيته ناسٌ، وكفر ناسٌ ولم يشكروا نعمه؛ إذ خلقهم في أحسن صورة، وتحذيرُهم من إنكار رسالة محمدﷺ.

وإنذارُهم على ذلك؛ ليعتبروا بما حل بالأمم الذين كذبوا رسلَهم، وجحدوا بَيِّناتهم؛ تكبراً أن يهتدوا بإرشاد بشرٍ مثلِهم.

والإعلامُ بأن اللهَ عليمٌ بالظاهر والخفي في السماوات والأرض؛ فلا يجري أمر في العالم إلا على ما اقتضته حكمته.

وأنحى عليهم إنكارَ البعث، وبيَّن لهم عدمَ استحالَتِه، وهدَّدهم بأنهم يَلْقَون حين يبعثون جزاءَ أعمالهم، فإن أرادوا النجاة فليؤمنوا بالله وحده، وليصدقوا رسولَهﷺ والكتابَ الذي جاء به، ويؤمنوا بالبعث، فإنهم إن آمنوا كُفِّرت عنهم سيئاتُهم، وإلا فجزاؤهم النار خالدين فيها.

ثم تثبيتُ المؤمنين على ما يلاقونه من ضرِّ أهل الكفر بهم؛ فليتوكلوا على الله في أمورهم.

وتحذيرُ المؤمنين من بعض قرابتهم الذين تغلغل الإشراك في نفوسهم؛ تحذيراً من أن يثبطوهم عن الإيمان والهجرة.

وعَرَّض لهم بالصبر على أموالهم التي صادرها المشركون.

وأمرَهم بإنفاق المال في وجوه الخير التي يُرْضون بها ربَّهم، وبتقوى الله والسمعِ له والطاعة. ٢٨/٢٥٩

٣ـ والإخبار عن بعض الأزواج والأولاد بأنهم عدو يجوز أن يحمل على الحقيقة؛ فإن بعضهم قد يضمر عداوة لزوجه وبعضهم لأبويه من جراء المعاملة

بما لا يروق عنده مع خباثة في النفس، وسوء تفكير، فيصير عدواً لمن حقه أن يكون له صديقاً، ويكثر أن تأتي هذه العداوة من اختلاف الدين، ومن الانتماء إلى الأعداء.

ويجوز أن يكون على معنى التشبيه البليغ، أي كالعدو في المعاملة بما هو من شأن معاملة الأعداء كما قيل في المثل: يفعل الجاهل بنفسه ما يفعل العدو لعدوه.

وهذا من استعمال اللفظ في حقيقته ومجازه. ٢٨٤/٢٨

سورة الطلاق

١ ـ سورة ﴿ يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ ﴾ الخ، شاعت تسميتها في المصاحف وفي كتب التفسير وكتب السنة: سورة الطلاق، ولم ترد تسميتها بهذا في حديث عن رسول الله ﷺ موسوم بالقبول.

وذكر في الإتقان أن عبدالله بن مسعود سماها سورة النساء القصرى أخذاً مما أخرجه البخاري وغيره عن مالك بن عامر قال: كنا عند عبدالله بن مسعود فذكر عنده أن الحامل المتوفى عنها تعتد أقصى الأجلين ـأي أجل وضع الحمل إن كان أكثر من أربعة أشهر وعشر، وأجل الأربعة الأشهر وعشرـ فقال: أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى ﴿ وَأُوْلاتُ الأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾ اهـ.

وفي الإتقان عن الداودي إنكار أن تدعى هذه السورة بالقصرى؛ للتنزه عن وصف القرآن بصفة نقص، ورده ابن حجر بأن القصر أمر نسبي، أي ليس مشعراً بنقص على الإطلاق.

وابن مسعود وصفها بالقصرى؛ احترازاً عن السورة المشهورة باسم سورة النساء التي هي السورة الرابعة في المصحف التي أولها: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾.

وأما قوله الطولى فهو صفة لموصوف محذوف أي بعد السورة الطولى يعني سورة البقرة؛ لأنها أطول سور القرآن، ويتعين أن ذلك مراده؛ لأن سورة البقرة هي التي ذُكرت فيها عدة المتوفى عنها.

وقد يتوهم أن سورة البقرة تسمى سورة النساء الطولى من مقابلتها بسورة النساء القصرى في كلام ابن مسعود، وليس كذلك كما تقدم في سورة النساء.

وهي مدنية بالاتفاق.

وعدد آيها اثنتا عشرة آية في عدد الأكثر، وعدها أهل البصرة إحدى عشرة آية.

وهي معدودة السادسة والتسعين في ترتيب نزول السور عند جابر بن زيد نزلت بعد سورة الإنسان وقبل سورة البينة.

وسبب نزولها ما رواه مسلم عن طريق ابن جريج عن أبي الزبير أنه سمع عبدالرحمن بن أيمن يسأل ابن عمر كيف ترى في الرجل طلّق امرأته حائضاً؛ فقال طلق ابن عمر امرأته حائضاً على عهد رسول الله ﷺ فسأل عمر رسول الله ﷺ فقال له: ليراجعها، فردها وقال: إذا طهرت، فليطلق أو ليمسك، قال ابن عمر وقرأ النبي: ﴿ يا أيها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾.

وظاهر قوله: وقرأ النبي ﷺ الخ أنها نزلت عليه ساعة إذ.

ويحتمل أن تكون نزلت قبل هذه الحادثة.

وقال الواحدي عن السدي: أنها نزلت في قضية طلاق ابن عمر، وعن قتادة أنها نزلت بسبب أن النبي ﷺ طلق حفصة ولم يصح.

وجزم أبو بكر بن العربي بأن شيئاً من ذلك لم يصح، وأن الأصح أن الآية نزلت بياناً لشرع مبتدأ. ٢٨/٢٩٢-٢٩٣

٢- **أغراضُها**: الغرضُ من آيات هذه السورة تحديدُ أحكامِ الطلاق، وما يَعْقُبُه من العِدَّة والإرضاع والإنفاق والإسكان؛ تتميماً للأحكام المذكورة في سورة البقرة.

والإيماءُ إلى حكمةِ شرعِ العِدَّة، والنهيُ عن الإضرار بالمطلقاتِ والتضييق عليهن.

والإشهادُ على التطليقِ، وعلى المراجعة، وإرضاعُ المطلَّقة ابنَها بأجرٍ على الله.

والأمرُ بالائتمار، والتشاور بين الأبوين في شأن أولادهما.

وتخلل ذلك الأمرُ بالمحافظة الوعد بأن الله يؤيد من يتقي الله، ويتبع حدوده، ويجعل له من أمره يسراً، ويُكَفِّر عنه سيئاته.

وأن الله وضع لكل شيء حُكْمَهَ لا يعجزه تنفيذُ أحكامه.

وأعقب ذلك بالموعظة بحال الأمم الذين عتوا عن أمر الله ورسله، وهو حثٌّ للمسلمين على العمل بما أمرهم به الله ورسولهﷺ لئلا يَحِقَّ عليهم وصفُ العتو عن الأمر.

وتشريفُ وحيِ اللهِ -تعالى- بأنه منزلٌ من السماوات وصادرٌ عن علم الله وقدرته -تعالى-. ٢٨/٢٩٣-٢٩٤

٣- **والطلاق مباح** لأنه قد يكون حاجياً لبعض الأزواج؛ فإن الزوجين شخصان اعتشرا اعتشاراً حديثاً في الغالب لم تكن بينهما قبله صلة من نسب ولا جوار، ولا تخلق بخلق متقارب أو متماثل؛ فيكثر أن يحدث بينهما بعد التزوج تخالف في بعض نواحي المعاشرة قد يكون شديداً، ويعسر تذليله، فَيَمَلُّ أحدهما، ولا يوجد سبيل إلى إراحتهما من ذلك إلا التفرقة بينهما؛ فأحله الله؛ لأنه حاجي، ولكنه ما أحله إلا لدفع الضر؛ فلا ينبغي أن يجعل الإذن فيه ذريعة للنكاية من أحد الزوجين بالآخر، أو من ذوي قرابتهما، أو لقصد تبديل المذاق؛ ولذلك قال النبيﷺ: «**أبغض الحلال إلى الله الطلاق**». ٢٨/٢٩٥-٢٩٦

سورة التحريم

١ـ سورة ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ الخ، سميت (سورة التحريم) في كتب السنة وكتب التفسير.

ووقع في رواية أبي ذر الهروي لصحيح البخاري تسميتها باسم (سورة اللّمَ تُحرّم) بتشديد اللام، وفي الإتقان وتسمى (سورة اللّم تحرّم) وفي تفسير الكواشي أي بهمزة وصل وتشديد اللام مكسورة وبفتح الميم وضم التاء محققه وتشديد الراء مكسورة بعدها ميم على حكاية جملة: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾ وجعلها بمنزلة الاسم وإدخال لام تعريف العهد على ذلك اللفظ وإدغام اللامين.

وتسمى (سورة النبيﷺ) وقال الآلوسي: إن ابن الزبير سماها (سورة النساء) قلت: ولم أقف عليه ولم يذكر صاحب الإتقان هذين في أسمائها.

واتفق أهل العدد على أن عدة آيها اثنتا عشرة.

وهي مدنية.

قال ابن عطية: بإجماع أهل العلم، وتبعه القرطبي، وقال في الإتقان عن قتادة: إن أولها إلى تمام عشر آيات وما بعدها مكي، كما وقعت حكاية كلامه، ولعله أراد إلى عشر آيات، أي أن الآية العاشرة من المكي؛ إذ من البعيد أن تكون الآية العاشرة مدنية والحادية عشر مكية.

وهي معدودة الخامسة بعد المائة في عداد نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الحجرات وقبل سورة الجمعة. ٣٤٣/٢٨

٢ـ **أغراضُ هذه السورةِ**: ما تضمنه سبب نزولها أن أحداً لا يُحَرِّم على نفسه

ما أحل الله له لإرضاء أحد؛ إذ ليس ذلك بمصلحة له ولا للذي يسترضيه؛ فلا ينبغي أن يُجْعل كالنذر؛ إذ لا قُرْبَةَ فيه، وما هو بطلاق؛ لأن التي حرمها جاريةٌ ليست بزوجة؛ فإنما صلاحُ كلِّ جانبٍ فيما يعود بنفع على نفسه أو ينفع به غيره نفعاً مرضياً عند الله، وتنبيهُ نساء النبيﷺ إلى أن غيرة الله على نبيه أعظم من غيرتهن عليه، وأسمى مقصداً.

وأن الله يُطْلِعُه على ما يخصه من الحادثات.

وأنَّ مَنْ حلف على يمين فرأى حِنْثَها خيراً من بِرِّها أن يُكَفِّر عنها، ويفعل الذي هو خير.

وقد ورد التصريح بذلك في حديث وفد عبد القيس عن رواية أبي موسى الأشعري، وتقدم في سورة براءة.

وتعليمُ الأزواج أن لا يكثرن من مضايقة أزواجهن؛ فإنها ربما أدت إلى الملال، فالكراهية، فالفراق.

وموعظةُ الناس بتربية بعض الأهل بعضاً، ووعظِ بعضِهِمْ بعضاً.

وأتبع ذلك بوصفِ عذابِ الآخرةِ ونعيمِها وما يفضي إلى كليهما من أعمال الناس صالحاتِها وسيئاتِها.

وذيَّل ذلك بضرب مثلين من صالحات النساء، وضدُّهن لما في ذلك من العظمة لنساء المؤمنين ولأمهاتهم. ٣٤٥/٢٨

٣ـ **ومن شروط التوبة** تدارك ما يمكن تداركه مما وقع التفريط فيه مثل المظالم للقادر على ردها.

روي عن عليﷺ يجمع التوبة ستة أشياء: الندامة على الماضي من الذنوب،

وإعادة الفرائض، ورد المظالم، واستحلال الخصوم، وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي. ٣٦٨/٢٨

٤ـ **ومن تمام التوبة** تمكين التائب من نفسه أن ينفذ عليها الحدود كالقود والضرب.

قال إمام الحرمين: «هذا التمكين واجب خارج عن حقيقة التوبة؛ لأن التائب إذا ندم ونوى أن لا يعود صحت توبته عند الله وكان منعه من تمكين نفسه معصيةً متجددةً تستدعي توبة».

وهو كلام وجيه؛ إذ التمكين من تنفيذ ذلك يشق على النفوس مشقة عظيمة؛ فلها عذر في الإحجام عن التمكين منه. ٣٦٨/٢٨

٥ـ **وتصح التوبة من ذنب دون ذنب** خلافاً لأبي هاشم الجبائي المعتزلي، وذلك فيما عدا التوبة من الكفر.

وأما التوبة من الكفر بالإيمان فصحيحة في غفران إثم الكفر، ولو بقي متلبساً ببعض الكبائر بإجماع علماء الإسلام.

والذنوب التي تجب منها التوبة هي الكبائر ابتداءً، وكذلك الصغائر، وتمييز الكبائر من الصغائر مسألة أخرى محلها أصول الدين، وأصول الفقه، والفقه.

إلا أن الله تفضل على المسلمين؛ فغفر الصغائر لمن أجتنب الكبائر، أُخِذَ ذلك من قوله ـتعالىـ: ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلاَّ اللَّمَمَ ﴾.

وقد مضى القول فيه في تفسير سورة النجم.

ولو عاد التائب إلى بعض الذنوب أو جميعها ما عدا الكفر اختلف فيه علماء

الأمة؛ فالذي ذهب إليه أهل السنة أن التوبة تنتقض بالعودة إلى بعض الذنوب في خصوص الذنب المَعُود إليه ولا تنتقض فيما سواه، وأن العود معصية تجب التوبة منها.

وقال المعتزلة: تنتقض بالعودة إلى بعض الذنوب؛ فتعود إليه ذنوبه، ووافقهم الباقلاني.

وليس في أدلة الكتاب والسنة ما يشهد لأحد الفريقين[1]. ٣٦٩/٢٨

٦ـ **وامرأة فرعون هذه هي** امرأة فرعون الذي أرسل إليه موسى وهو منفطح الثالث، وليست امرأة فرعون التي تبنت موسى حين التقطته من اليم؛ لأن ذلك وقع في زمن فرعون رعمسيس الثاني، وكان بين الزمنين ثمانون سنة، ولم يكن عندهم علم بدين قبل أي يرسل إليهم موسى.

ولعل امرأة فرعون هذه كانت من بنات إسرائيل تزوجها فرعون؛ فكانت مؤمنة برسالة موسى ـعليه السلامـ.

وقد حكى بعض المفسرين أنها عمة موسى، أو تكون هداها الله إلى الإيمان بموسى كما هدى الرجل المؤمن من آل فرعون الذي تقدم ذكره في سورة غافر.

وسماها النبي ﷺ آسية في قوله: «**كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون**» رواه البخاري. ٣٧٦/٢٨ـ٣٧٧

٧ـ **والظاهر أن قولها: ﴿ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ﴾ مؤذن بأن فرعون وقومه صدوها عن الإيمان به**، وزينوا لها أنها إن آمنت بموسى تضيِّع ملكاً

---

١ ـ الصحيح أن الذي يعود إثمُ الذنب الجديد المستأنف، أما إثم الذنب الماضي فلا يعود. انظر تفصيل ذلك في كتاب التوبة وظيفة العمر. (م)

عظيماً، وقصراً فخيماً، أو أن فرعون وعظها بأنها إن أصرت على ذلك تقتل؛ فلا يكون مدفنها الهرم الذي بناه فرعون لنفسه؛ لدفنه في بادئ الملوك.

ويؤيد هذا ما رواه المفسرون أن بيتها في الجنة من درة واحدة؛ فتكون مشابهة الهرم الذي كان معداً؛ لحفظ جثتها بعد موتها وزوجها.

فقولها ذلك كقول السحرة الذين آمنوا جواباً عن تهديد فرعون: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنْ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ الآية في سورة طه. ٣٧٧/٢٨